

القَصَصُ الدِّينِي
الحَلَقَةُ الأولى
قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

موسى
وَالرَّحُلُ الصَّالِحُ

عبد الحميد جودة السحار

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

الْقِصَصُ الدِّينِي

موسى

وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الطبعة

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

تَفَرَّقَ بنو إِسْرَائِيلَ فِي الصَّحَرَاءِ ، بِسَبَبِ عِصْيَانِهِمْ
لِأَوَامِرِ اللَّهِ ، وَتَاهُوا فِي الرَّمَالِ ، فَلَمْ يَعُدَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ
يَعْرِفُ مَكَانَ أَخِيهِ .

أَمَّا مُوسَى فَسَارَ وَمَعَهُ فِتْيٌ مِنْ قَوْمِهِ ، كَانَ يَتَابِعُهُ
دَائِمًا ، وَيُسَاعِدُهُ فِي قِضَاءِ حَوَائِجِهِ ، وَتَحْضِيرِ طَعَامِهِ
وَشَرَابِهِ .

وَكَانَ اللَّهُ قَدْ وَعَدَ مُوسَى أَنْ يَجْمَعَهُ بِرَجُلٍ صَاحِ
عَالَمٍ ، يُعَلِّمُهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا يَعْلَمُهَا ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ
سَيَلْقَى هَذَا الرَّجُلَ عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، أَيْ فِي الْجِهَةِ
الَّتِي يَلْتَقِي فِيهَا الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ بِالْتُّرْعَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فُرْعِ
النَّيْلِ .

فَقَالَ مُوسَى لِفَتَاهِ : لَا بَدْءَ أَنْ أَسِيرَ وَأَسِيرَ حَتَّى

أَصِلَ إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ . حَتَّى وَلَوْ ظَلَلْتُ أَسِيرُ
أَعْوَامًا طَوِيلَةً .

ثُمَّ سَارَا ، وَسَارَا ، وَسَارَا .

وَكَانَ الْغَلَامُ قَدْ اصْطَادَ حُوتًا مِنَ السَّمَكِ ، لِيَصْنَعَ
مِنْهُ غَدَاءً لِمُوسَى وَلِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى نُقْطَةِ التَّقَاءِ
الْبَحْرَيْنِ ، وَجَدَا هُنَاكَ صَخْرَةً كَبِيرَةً ، فَجَلَسَا عَلَيْهَا
يَسْتَرِيحَانِ ، وَوَضَعَ الْفَتَى حُوتَهُ بِجَانِبِهِ وَنَسِيَهُ ،
فَتَسَرَّبَ إِلَى الْبَحْرِ وَدَبَّتْ فِيهِ الرُّوحُ وَغَاصَ .

وَانْتَظَرَ مُوسَى فَلَمْ يَجِدْ ذَلِكَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ الْعَالِمَ ،
فَقَامَ يَمْشِي وَمَعَهُ فَتَاهُ ، يَبْحَثُ عَنْهُ هُنَا وَهُنَا ، حَتَّى
ابْتَعَدَا عَنْ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ .

وَلَمَّا أَحَسَّ مُوسَى الْجُوعَ وَالتَّعَبَ ، جَلَسَ يَسْتَرِيحُ .

« قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا ، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ

سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا » .

عِنْدُنَا تَذَكَّرَ الْفَتَى أَنَّهُ نَسِيَ الْحُوتَ عِنْدَ الصَّخْرَةِ .
« قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذَا أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ؟ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحُوتَ . وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ .
وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا .. » .

وَوَقَفَ الْفَتَى خَجَلًا .

أَمَّا مُوسَى فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَا بُدَّ أَنْ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
نَرْجِعَ إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، لِأَلْقَى ذَلِكَ الرَّجُلَ
الصَّالِحَ . فَسَرَّ فِي نَفْسِهِ ، وَطَمَأَنَّ الْفَتَى ! قَالَ :
« ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ » .

وَعَادَا إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، وَعِنْدَ الصَّخْرَةِ نَظَرَا
فَوَجَدَا ذَلِكَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ الطَّيِّبَ الْقَلْبَ ، الرَّحِيمَ
الْعَالِمَ ، الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ مُوسَى بِلِقَائِهِ .

« قَالَ لَهُ مُوسَى : هَلْ أَتْبَعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا

عَلَّمْتَ رُشْدًا ؟ »

« قال : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ؟ » .
« قال : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا » .

قال الرجلُ الصالح : إِذَا كُنْتَ سَتَّبِعُنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ أَيْ شَيْءٍ تَرَانِي أَعْمَلُهُ إِلَّا إِذَا حَدَّثْتُكَ أَنَا عَنْهُ .

٢

سَارَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ وَمُوسَى مَعَهُ ، حَتَّى وَصَلَا إِلَى مَكَانٍ تَرْمُسُو فِيهِ الْمَرَائِبَ ، فَرَكِبَ فِي سَفِينَةٍ مِنْهَا ، وَرَكِبَ مُوسَى مَعَهُ .

وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ فِي وَسْطِ الْمَاءِ ، إِذْ نَظَرَ مُوسَى ، فَوَجَدَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ قَدْ أَخَذَ مِسْمَارًا وَمِطْرَقَةً ، وَأَخَذَ يَخْرِقُ السَّفِينَةَ ، حَتَّى أَحْدَثَ فِيهَا ثُقْبًا .

فَزِعَ مُوسَى وَخَافَ عَلَى الْمَرْكَبِ أَنْ تَغْرُقَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الرَّجُلِ يَسْأَلُهُ فِي حَيْرَةٍ : « قَالَ : أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؟ » لَقَدْ فَعَلْتَ فَعَلًا رَدِيئًا فظيما !

لَمْ يَغْضَبِ الرَّجُلُ وَلَمْ يَكْشُرْ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : « أَلَمْ أَقُلْ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ »
عِنْدَ ذَلِكَ تَذَكَّرَ مُوسَى أَنَّ الرَّجُلَ شَرَطَ عَلَيْهِ الْأَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ مِمَّا يَعْمَلُهُ الرَّجُلُ ، إِلَّا إِذَا حَدَّثَهُ هُوَ عَنْهُ . فَخَجَلَ وَاسْتَحْيَا .

« قَالَ : لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتَ » .
وَوَعَدَهُ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يَسْكُتَ ، فَلَا يَتَكَلَّمَ وَلَا يَسْأَلُ أَبَدًا .

وَنَزَلَا مِنَ السَّفِينَةِ ، وَتَرَكَاهَا تَسِيرُ ، وَسَارَا فِي طَرِيقِهِمَا .
وَبَيْنَمَا هُمَا يَسِيرَانِ إِذْ وَجَدَا غُلَامًا صَغِيرًا يَلْعَبُ ،

فَأَمْسَكَ بِهِ الشَّيْخُ وَقَتْلَهُ .

رَأَى مُوسَى هَذَا الْفِعْلَ ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ،
كَيْفَ يَقْتُلُ الرَّجُلُ هَذَا الطِّفْلَ الْبَرِيءَ ، الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ
ذَنْبًا ؟ وَنَسِيَ الشَّرْطَ ، وَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ السَّكُوتَ ،
فَصَرَخَ فِي الرَّجُلِ :

« قَالَ : أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بَغَيْرِ نَفْسٍ ؟ لَقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا نَكْرًا » . أَيْ لَقَدْ عَمِلْتَ ذَنْبًا عَظِيمًا ، حِينَ
قَتَلْتَ هَذِهِ النَّفْسَ الطَّاهِرَةَ الَّتِي لَمْ تَقْتُلْ أَحَدًا .

فَلَمْ يَغْضَبِ الرَّجُلُ ، وَلَمْ يَكْشُرْ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ :

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ » .

عِنْدَ ذَلِكَ خَجَلَ مُوسَى خَجَلًا عَظِيمًا ، وَعَزَمَ عَلَى
أَلَّا يَتَكَلَّمَ بَعْدَ الْآنَ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ
مَعْدُورًا إِذَا فَارَقَهُ ، وَلَمْ يُصَاحِبْهُ ، قَالَ : « إِنَّ سَأَلْتُكَ
عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ، قَدْ بَلَغْتَ مِنَ لَدُنِّي

عُذْرًا » .

وَسَارَا فِي طَرِيقَهُمَا .

وِظَلًا سَائِرِينَ حَتَّى دَخَلَا قَرْيَةً ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا
طَعَامٌ وَلَا نَقُودٌ ، وَقَدْ جَاعَ مُوسَى وَجَاعَ الْفَتَى الَّذِي
مَعَهُ . فَتَقَدَّمَ الرَّجُلُ وَمَعَهُ مُوسَى إِلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ
يَطْلُبَانِ طَعَامًا ، وَلَكِنْ أَحَدًا لَمْ يُرْزَ أَنْ يُعْطِيَهُمَا شَيْئًا ،
وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمَا الْجُوعُ ، وَكَلَّمَا سَأَلَا وَاحِدًا مِنْ أَهْلِ
هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ : نَحْنُ لَا نُعْطِي طَعَامَنَا بِلَا ثَمَنٍ .
فَاذْهَبَا فَلَنْ نُعْطِيَكُمَا .

وَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرَانِ فِي الْمَدِينَةِ إِذْ وَجَدَا جِدَارًا
مَائِلًا ، يُرِيدُ أَنْ يَنْهَدِمَ ، فَقَرَّبَ الرَّجُلُ مِنَ الْحَائِطِ ،
وَكُوِّمَ التَّرَابُ حَوْلَهُ ، وَجَاءَ بِالمَاءِ وَعَجَّنَهُ حَتَّى صَارَ
طِينًا . وَأَخَذَ يُرْمِيهِ هَذَا الْحَائِطَ وَيُقَوِّيه ، وَمُوسَى
يُسَاعِدُهُ وَهُوَ سَاكِتٌ ، حَتَّى انْتَهَى مِنْ عَمَلِهِ ،

وأصبح الجدار متيناً لا يسقط .

وعندما أراد الرجل أن ينصرف قال موسى : الآن وقد رُممت هذا الجدار في تلك القرية ، التي لا نجد فيها طعاماً ولا نقوداً .. ألا تستطيع أن تطلب أجراً على هذا العمل ! إنك لو شئت لاتخذت عليه أجراً .

ونظر الرجل إليه وهو يتسم ، « قال : هذا فراق بيني وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً » أي سأخبرك عن سر هذه الأشياء التي لم تتمكن من الصبر عليها .

٣

جلس الرجل كالمعلم ، وجلس موسى أمامه كالتلميذ ، وأخذ الرجل يشرح سر هذه الأعمال الثلاثة العجيبة ، التي قام بها موسى لا يعرفها .

قال : أتذكر تلك السفينة التي خرقتها ونحن في وسط البحر ؟

قال موسى : نعم ، وقد كذت تُغرقنا ، ولا بُدَّ أنها غرقت في الطريق .

قال : هذه السفينة يملكها جماعة من المساكين ، يعملون في البحر ، ويرتقون منها ، وكان في طريقهم ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وقد أعلمني ربّي أن هؤلاء المساكين سيظلّون سائرين حتى يصلوا إلى أرض ذلك الملك الظالم ، الذي يأخذ السفن السليمة بالغصب ، فأردت أن أعيها به الخرق الذي خرقتها حتى إذا رآها الملك الظالم مخروا لم يأخذها ، وتركها لهم ليعيشوا منها .

قال موسى : معك حق . اعذرني إنني لم أكن أعرف ما تعرفه أنت ، مما علمك ربك ، ولكن

ذنبُ هذا الغلامِ البريء الذى قتلته ؟

قال الرجل : لقد أعلمنى ربى أن والدى هذا الغلام طيبان ، أمّا هو فولد شرير ، وإذا كبر كان كافرا ، وسبب لوالديه الطيبين مصائب كبيرة ، بسبب كفره وظلمه ؛ وقد أراد الله أن يموت هذا الغلام الشرير ، ليرزق والديه خيرا منه وأصلح ، ولهذا قتلته كما أراد ربى .

قال موسى : معك حق ، اعذرنى فبأننى لم أكن أعرفُ مما تعرفه أنت ، مما علمك ربك .. ولكن لماذا تركتنا بالجوع ولم تأخذ أجرا على الجدار الذى أقمته ورقمته ، فى تلك البلدة البخيلة ، التى لم تطعمنا ونحن جوع ؟

قال الرجل : « أمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ، وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحا ،

فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ، ويستخرجا كنزهما » ولو أننى تركت الجدار يهدم ، لظهر هذا الكنز تحته ، ونهبه أهل القرية من الغلامين الصغيرين ، اللذين لا يقدران على حماية مالهما ، أمّا الآن فسبقى الكنز تحت الحائط حتى إذا كبر الغلامان ، وصارا شابين قويين ، فإنما سيخرجان الكنز ، وينتفعان به .

وهكذا أراد الله ، وما فعلت شيئا مما فعلته إلا بأمر الله . وهذا تفسير تلك الأعمال التى لم تستطع أن تصبر عليها يا موسى .

٤

رفع موسى وجهه إلى السماء ، ليشكر الله على نعمته ، بقاء هذا الرجل الصالح الذى علمه أشياء

كثيرة لم يكن يعلمها : علمه كيف يصبر ولا يغضب ، ولا يلوم الناس على الأشياء التي لا يعرف سرها ، بل يسأل أولاً ليعرف لماذا صنعوها ، فقد يكون لهم عُذرٌ فيها ، وربما كانت نيتهم حسنة ولا يقصدون بها شراً .

وعلمه أن الإنسان لا يجوز أن يغتر بنفسه ، فيظن أنه يعرف كل شيء ، وأنه لا يوجد من هو أعلم منه ، ومن يعرف أكثر مما يعرف ، وأنه يجب عليه أن يسأل ليتعلم ، لأن هناك من هو أعلم منه .

وعلمه أن الإنسان لا يعرف أشياء كثيرة ، وأن الله وحده هو الذي يعلم جميع الأشياء وجميع الأخبار ، وأن الله يصنع للناس أشياء كثيرة تفيدهم ، ولكنهم هم قد يجهلون لماذا يصنعها الله لهم ، لأنهم لا يعلمون سر هذه الأشياء . وقد يظنون أنها أعمال

ضارة ، ولكنها في الحقيقة تكون نافعة : كحرق السفينة وقتل الغلام الشرير .

وعلمه أن الإنسان يجب أن يعمل الخير حتى من غير أجر عليه ؛ لأن هذا الخير يفيد بعضاً آخر من الناس الطيبين ، كما صنع الرجل الصالح في ترميم الجدار الذي كان يريد أن ينقض .

... ثم نظر موسى إلى جانبه ، فلم يجد للرجل الصالح أثراً ، أين ذهب ؟ كيف اختفى ؟ علم ذلك عند الله ، ولا يعلم أحد إلا الله .